التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية بعد الهجرة

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة لتحقيق عدد من الأهداف أهمها: التعرف على مفهوم التربية الأمنية، وتطبيقاتها في السيرة النبوية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، من خلال تعامله صلى الله عليه وسلم مع المجتمع الجديد، والتعامل مع اليهود، والقبائل خارج المدينة المنورة، وإرساله صلى الله عليه وسلم للسرايا، ومشاركته في الغزوات، ولتحقيق هذه الأهداف، تم استخدام المنهج الوصفي من حيث استنباط المضمون التربوي من كل الإجراءات التي اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي ظهرت نتيجتها المباشرة في بث الأمن بمفهومه الشامل في مجتمع المسلمين في المدينة المنورة وسواها، ومن أهم هذه الإجراءات: المرور على كل قبائل المدينة حين قدومه صلى الله عليه وسلم من مكة، وبناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتوحيد ساكني المدينة المنورة عامة، والحث على التكافل والتعاون في المجتمع الجديد، وكشف خطط المنافقين، وإجلاء اليهود من المدينة المنورة، والتأمين الخارجي لها، وممارسة الشورى مع أتباعه الصحابة الكرام، وإرسال الدوريات الاستكشافية، وسرعة التدخل لفض النزاعات التي تنشأ بين المسلمين، ومشاركته لهم في أعمالهم، واستخدام أسلوب الحرب النفسية مع أعدائه، والجنوح للعفو والصلح، وإعطائه الأولوية مع إظهار القوة، وأخيراً استخدامه لأسلوب التمويه والمباغتة، وأوصت الدراسة الباحثين في التراث الإسلامي، والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية للبحث في الجوانب التربوية عامة التي حوتها السيرة النبوية بعد الهجرة، والتربية الأمنية وتطبيقاتها خاصة.

Security education and their application in the prophet biography(peace up on him)after the migration to Almadina

Dr. Muslim Abdelgadir Ahmed Mudawi ,Associate professor(fundamentals of education)

University of Gezira(Sudan)Faculty of education

Abstract

This study aimed to achieve a number of objectives including: identification of the concept of security education, and their applications in the Prophet's biography (peace be upon him) after the migration to Al Medinah; Through his dealings with the new society, and dealing with the Jews, and tribes outside Al Medinah. Also He (peace be upon him) sent the brigades, and his participation in the invasions. The researcher used the descriptive approach in terms of the deduction of the educational content of all the proceedings taken by the Prophet Muhammad (peace be upon him) to achieve these objectives and goals, that appeared the

direct outcome of the comprehensive security among the Muslim community in Al Medinah. The most important of these procedures: when He (peace be upon him) came from Makkah, he was contacting with all the tribes of Al Medinah, and constructing the mosque. Also He (peace be upon him) did the fraternity between immigrants and supporters, and the unification of the inhabitants of Al Medinah, and encouraged solidarity and cooperation in the new society. In addition to, he exposed the hypocrites' plans, and he ejected the Jews from Al Medinah, and he secured it outside. Also He (peace be upon him) practiced the Shura with his companions, and he sent exploratory patrols, the rapid resolution of disputes that occurred among Muslims, and his participation in their work. Also He (peace be upon him) used the style of psychological war with the enemies, and for the amnesty and the peace and gave it priority with a displaying strength. Finally, he used the method of camouflage and surprise in the war. The study recommended educational Sciences researchers in Islamic heritage, and Islamic guidance to do more research in general educational aspects that involved biography of the Prophet Muhammad (peace be upon him) after the migration, and security education and its applications particularly.

مقدمة:

من الميزات الفريدة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها وصلت إلينا كاملة، فلم تترك شاردة ولا واردة من حياته وأقواله وأفعاله، وأياً كان موقعه في كافة مراحل حياته إلاَّ وتم تدوينها بكل صدق وموضوعية، وسيرته صلى الله عليه وسلم ليست سرداً لحوادث ولا سجلاً لمعجزات وخوارق كما ينظر إليها بعض الناس، ولكنها كانت كلها قائمة على التوكل والأخذ بالأسباب وحسن الظن بالله تعالى، والتعامل مع قوانين الكون والناس وفق الأهداف التي جاء لتحقيقها الإسلام.

تظل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم المعين الذي لا ينضب والمصدر المهم الذي تستمد منه الأجيال القادمة من المسلمين كل ما تحتاج إليه في كافة مناحي الحياة بما فيها من أنشطة على مستوى الفرد والجماعة والدولة والأسرة، ففي هذه السيرة الأسوة والقدوة الحسنة في جميع المجالات؛ في الحكم والسياسة والمال والاقتصاد والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والتربية والتعليم، وللأهمية القصوى التي تمثلها السيرة النبوية الشريفة للمسلمين على امتداد العصور والأزمان وما بها من تجارب وخبرات، عكف على دراستها باحثون مسلمون كثر كل في مجاله، وأُلفت فيها كتب كثيرة اختلفت في تناولها ونظرياتها ومناهجها لكنها اتفقت على أنَّه صَلى الله عليه وسلم الشخصية الإنسانية المثالية التي ينبغي التأسي بها في الحياة، ولم تقتصر دراستها على المسلمين فقط وإنما انكبَّ عليها دراسة وتحليلاً علماء كثر من غير

المسلمين، اتفق المنصفون منهم على عظمته صلى الله عليه وسلم، ويأتي ترتيبه في قائمة القادة الذين أثَّروا في مجرى التاريخ الإنساني، واستطاع أن يُؤسِّس لحضارة ودولة كان لها الفضل الكبير الواضح في تقدم البشرية.

موضوع الدراسة:

يعتبر مجيء الإسلام بداية تربية جديدة غايتها النهائية هي الوصول إلى مكارم الأخلاق، قال تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم الآية ٤، وقال صلى الله عليه وسلم محدداً هدف رسالة الإسلام: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). (البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٣٢٥).

احتوت السيرة النبوية الشريفة على مضامين تربوية كفيلة بأن تكون سبباً في صلاح الفرد والمجتمع والأمة، ففي حياته صلى الله عليه وسلم دروس وعبر سواء في أقواله أو أفعاله أو تقريراته، وهناك جوانب تربوية في السيرة النبوية – حسب علم الباحث – لم تأخذ حظها كاملاً من الدراسة، وإنما أُشير إليها إشارات عابرة، ومن هذه الجوانب الجانب الأمني في معناه الشامل، والذي يقوم من خلاله الفرد والمجتمع باتخاذ تدابير واحترازات مقصودة لذاتها توفر الاحتياط والحماية اللازمتين للنشاط البشري المقصود، ومن المعلوم أنَّ أعداد المسلمين كانت قليلة في بداية الدعوة الإسلامية من جهة، وأنَّ الإسلام جاء بمبادئ جديدة تشمل انقلاباً كاملاً على ما كان سائداً في جزيرة العرب والعالم من حولها من جهة أخرى، الأمر الذي استعدَّ له الرسول صلى الله عليه وسلم، فاتخذ إجراءات أمنية مكّنت للدين الجديد في ظل توفر إمكانيات اقتصادية وبشرية وعسكرية قليلة، مقارنة بما يملكه أعداء المسلمين.

مما سبق يمكن تحديد موضوع هذه الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية بعد الهجرة؟وتتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١/ ما مفهوم التربية الأمنية؟

٢/ ما تطبيقات التربية الأمنية في السيرة النبوية بعد الهجرة في التالي:

أ. داخل المدينة.

ب. التعامل مع اليهود.

ج. القبائل خارج المدينة.

د. السرايا والغزوات.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١/ التعرف على مفهوم التربية الأمنية في السيرة النبوية بعد الهجرة.

٢/ التعرف على تطبيقات التربية الأمنية في صلى الله عليه وسلم في تعامله مع مجتمع المدينة.

٣/ التعرف على تطبيقات التربية الأمنية في التعامل مع اليهود.

٤/ التعرف على تطبيقات التربية الأمنية مع القبائل خارج المدينة المنورة.

٥/ التعرف على تطبيقات التربية الأمنية في الغزوات والسرايا.

٦/ لفت نظر الباحثين إلى البحث والدراسة للجوانب التربوية في السيرة النبوية الشريفة عامة والتربية الأمنية وتطبيقاتها خاصة.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في التالي:

١/ موضوع الأمن الشامل من الموضوعات المهمة التي ينبغي التعرف عليه من خلال السيرة النبوية الشريفة، والتي تمثل التطبيق العملي لرسالة الإسلام.

٢/ إفادة الأفراد والمجتمعات الإسلامية بتسليط الضوء على تدابير الأمن والحماية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تأمين الدعوة الإسلامية.

٣/ إثراء البحث والدراسة في السيرة النبوية.

٤/ تزويد المكتبة الإسلامية عامة والتربوية خاصة بالدراسات والبحوث على اعتبار أن السيرة النبوية الشريفة رسالة تربوية تطبيقية للإسلام في المقام الأول.

منهج الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي وذلك بتحليل مضمون الأقوال والأفعال والتصرفات الأمنية للرسول صلى الله عليه وسلم، في السيرة النبوية الشريفة واستنباط تطبيقاتها التربوية.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية بعد الهجرة في المصادر والمراجع المعروفة.

الحدود الزمنية: السنوات الثلاثة عشر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

مصطلحات الدراسة:

١/ الأمن: من الكلمات ذات الدلالة المباشرة، إذ تُعرَف حقيقته عند النطق به، ولكن شدة وضوحه وكثرة استخداماته وكثرة تعريفاته واشتقاقاته، أضفت عليه نوعاً من الغموض. (المنشاوي، ١٤٢٧، ٤). ومن أهم معانيه اللغوية: أمناً وأمانة وآمنة، اطمأن ولم يخف فهو آمن، وأمن فلان كذا وثق به واطمأن إليه، أي جعله أميناً عليه، وعموماً يعني الأمن عدم الخوف والحفظ والطمأنينة والثقة. (ابن منظور، ١٩٩٥، ٣٢٥).

٢/التربية الأمنية: هي كل التوجيهات والتعليمات والتدابير المستمدة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي قادت إلى توفير الطمأنينة وهدوء النفس، وعدم الخوف، والأمن بمفهومه الشامل في المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة ومن بعد المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت.

٣/ التطبيقات التربوية: هي كل الإجراءات العملية في الجانب الأمني والتي طُبِّقت في السيرة النبوية بعد الهجرة النبوية.

يمكن التعرف على أهم تطبيقات التربية الأمنية للسيرة النبوية بعد الهجرة من التالي:

المرور على قبائل المدينة:

عندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من مكة استقبله الأوس والخزرج استقبالاً حافلاً، وكان أهل كل بيت منهم يتمنى أن ينزل الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، لكنه لم ينزل عن ناقته القصواء إلاَّ بعد أن مرَّ على كل بطون تلك القبيلتين، فقد مرَّ ببني عمرو عوف وبني سالم وبني بياضة وبني ساعدة وبني الحارث وبني عدي بن النجار. (ابن هشام، ١٩٩٢ج١، ٢٠١٧) وعندما كانوا يطلبون منه أن ينزل فيهم كان يقول لهم: (دعوهم فإنها مأمورة). (البيهقي، ج٣، ٢٠٠٣، ٢٧٥). وهذا المسلك يوضح مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتماسك ووحدة المجتمع الجديد في المدينة المنورة في ذلك الوقت، وكذلك معرفته التامة بطبيعة قوانين وأعراف وأحوال العرب، حيث من المعروف أنَّ الحروب – قبل هجرته للمدينة المنورة – كانت قائمة بين الأوس والخزرج والتي كانت تندلع ربما لأسباب واهية، فلو نزل الرسول صلى الله عليه وسلم على قبيلة بعينها لاستغل هذا التصرف ضعاف النفوس من أعداء الإسلام من العرب واليهود الذين يسكنون المدينة، وربما أشاعوا أنَّه يُفضِّل قبيلة على أخرى، وعندما بركت ناقته، قال صلى الله عليه وسلم: (أي بيوت أهلنا أقرب). قال أبو

أيوب الأنصاري رضي الله عنه: (أنا يا رسول الله، هذه داري وهذا بابي). قال: (فانطلق. فهيئ لنا مقيلاً. قال: قوما على بركة الله). (البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٣٢٧). وهذا التصرف الحكيم يدل على أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم اختار النزول عند أهله حتى لا يكون في ذلك محاباة لأحد، إذ إنَّه من المعتاد أن ينزل المرء عند أهله إذا نزل بلداً لأول مرة.

بناء المسجد:

وهو أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم حين مجيئه المدينة المنورة، لأنَّ المسجد يعتبر منتدى تلتقي وتتآلف فيه جميع العناصر القبلية التي طالما ثارت بينها النزاعات الجاهلية وحروبها (الشجاع، ١٩٩٩، ١٦١). ومعلوم أنَّ المسجد هو المكان المناسب لاجتماع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومكانتهم الاجتماعية، وفيه تذوب كل الفوارق الطبقية فيتساوى في داخله كل الناس، وأصبح المسجد بهذه الصفة مكاناً تدار فيه كل الأنشطة التي يحتاجها المجتمع الجديد من تعليم للصحابة رضوان الله عليهم، تعاليم الإسلام وتوجيهاته وعقد المصالحات وحل النزاعات، كما أصبح برلماناً للاستشارات ومتابعة تنفيذ الأعمال، إضافة إلى أنَّ المسجد هذا أضحى مكاناً لسكن عدد كبير من المهاجرين الذين لم تكن لهم ديارا ولا أموالاً ولا أهلاً لهم بالمدينة.

شارك الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء هذا المسجد مع أصحابه رضي الله عنهم، وكانت مواد البناء من اللبن والطين والحجارة وجريد النخل، وأُلحقت بهذا المسجد بيوت زوجاته صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم أثناء عَمله في البناء يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكانت هذه المشاركة مما يزيد من نشاط أصحابه، حتى قال أحدهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل

لذاك منا العمل المضلل

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

وهو من الأعمال الحاسمة والمهمة التي أدت إلى تماسك وتوحيد الجبهة الداخلية للمجتمع الجديد، وهو كذلك من أجلّ الأساليب التي أسهمت في توثيق الروابط بين مسلمي المدينة المنورة، لأنَّها كانت مؤاخاة شاملة وعامة في كل شيء، حتى في

الميراث، واستمرت على هذا الحال حتى غزوة بدر الكبرى، قال ابن القيم: ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعون رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة ويتوارثون بعد الموت من دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عزّ وجلّ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) سورة الأنفال الآية ٧٥، مُنع الإرث بينهم(ابن هشام، ج٢، ١٩٩٢، ٢٣٧)، وحرصاً على إزالة الفوارق القبلية سمَّى الرسول صلى الله عليه وسلم القادمون من مكة بالمهاجرين، وسمَّى المسلمون بالمدينة من الأوس والخزرج بالأنصار.

كان من نتيجة هذه المؤاخاة انتهاء العصبية الجاهلية، ونشر التكافؤ بإزالة فوارق القبيلة واللون والمكانة الاجتماعية، فالولاء والمقياس هو الإسلام، الأمر الذي قاد إلى ظهور ثمار هذه المؤاخاة في الحال، وانعكس ذلك في سلوك عملي قاد إلى إنشاء وحدة مجتمعية لم يشهد لها التاريخ القديم والحديث مثيلاً، ففي هذه المؤاخاة تجلَّى تقدير الأنصار لإخوانهم المهاجرين في أرفع صورة من الإيثار والتفاني، روى البخاري: أنَّهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إنِّي أكثر الأنصار أموالاً فاقسم مالي لنصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبها إليك فسمِّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال: بارك الله لك في مالك وأهلك، أين سوقكم ؟ فدلُّوه على سوق بنو قينقاع، فما انقلب إلاَّ ومعه فضل أقط وسمن، ثم تابع الغد فجاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مهيم! أي ما شأنك ؟قال: تزوجت، قال: وكم سقت لها؟قال: نواة من ذهب(البخاري، ج٣، ١٩٩٢، ٣٢٤). وقابل المهاجرون هذه التضحية والإيثار من إخوانهم الأنصار بالتقدير والوفاء، فلم يستغلوهم ولم ينالوا ويأخذوا منهم إلاَّ بقدر حاجتهم.

كان لهذه المؤاخاة أهداف ذات بعد أمني عميق تمثَّل في توحيد المسلمين لمواجهة الأخطار المحتملة والتي كانت ماثلة أمامهم مع قلة عددهم، ومن أهم هذه الأهداف ما يلي:

١/ ترتيب البيت الداخلي من خلال خلق تجانس بين أبناء الأمة الواحدة، حتى تصبح قطعة نسيج واحد تتحرك وفق المطلوب وبسرعة يمكن حسابها ويمكن التخطيط للمستقبل على أساسها. (الموسوي، ١٩٩٠، ١٨٠-١٨١).

٢/ إزالة وحشة الغربة للمهاجرين الذين تركوا وراءهم ديارهم وأهلهم وأموالهم.

٣/ غرس روح التكافل والمواساة بين أصحابه.

٤/ حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي واجهت المهاجرين.

٥/ توثيق الصلات والعلاقات بين أفراد المجتمع الجديد.

مدح الله تعالى الأنصار بسبب إيثارهم إخوانهم المهاجرين في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) سورة الحشر، الآية ٩، وعن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: ما أثنيتم عليهم ودعوتهم الله لهم. (الترمذي، ١٩٩٠، ٣١١).

بهذه الأسلوب الحكيم استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحل كل مشاكل المجتمع الجديد، وجعل منه مجتمعاً محصناً من كل عوامل التفرقة والخصام التي حاول أعداء الإسلام بثها فيه.

توحيد أهل المدينة كافة:

بعد أن تمكَّن الرسول صلى الله عليه وسلم من ترتيب أحوال المهاجرين والأنصار عن طريق المؤاخاة، توَّج هذا الفعل الإستراتيجي بعقد ميثاق بين أفراد المجتمع الجديد من المسلمين وأهل المدينة الآخرين بمن فيهم اليهود، وتضمَّن هذا الميثاق بنوداً هدفت في مجملها إلى حماية المدينة وتحصينها داخلياً وخارجياً، ومن هذه البنود:

١/ إنَّهم أمة واحدة من دون الناس.

٢/ إنَّ المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (أي عطية) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

٣/ وأنَّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان أحدهم.

٤/ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر.

٥/ ولا ينصر كافراً على مؤمن.

٦/ وإنَّ من تبعنا من يهود فإنَّ له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

٧/ وأنَّه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنَّه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يُؤخذ منه صرف ولا عدل.

٨/ وأنَّكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإنَّ مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

يلاحظ من هذه المعاهدة أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم استفاد من أعراف وقوانين الجاهلية التي تجيز عقد المعاهدات بين القبائل لأجل استمرار مسيرة الحياة، وضمان حرية الحركة وتبادل المنافع، وهنا ملاحظة ينبغي التوقف عندها، وهي أنَّ هذه المعاهدة وبما ورد فيها من عهود قد ضمنت للمسلمين نشر دعوتهم بكل حرية، وأمنتهم من أي ضرر يقع عليهم من اليهود على الأقل في هذه المرحلة التأسيسية للمجتمع الجديد، وبهذه الاتفاقية تم تأمين المدينة المنورة من الداخل، وأرسلت رسالة قوية للقوى الخارجية التي تريد النيل من المسلمين مفادها أنَّ هذه الدين الجديد حق، إذ إنَّ العرب كانت تنظر لليهود على أنهم أهل دين، وأصحاب نفوذ لا يمكن الاستهانة به، فتوقيعهم لهذه المعاهدة به اعتراف ضمني بالدين الإسلامي.

الحث على التكافل والتعاون:

تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم المسلمين في المجتمع الجديد، ما يُقوِّي لحمتهم ويُوحِّد جهودهم في نصرة الإسلام، فكان أن حثهم على مكارم الأخلاق المتمثلة في التكافل والتشارك والتعاون من خلال أحاديثه العديدة التي كان يعلمها لهم، والملاحظ على هذه الأحاديث أنَّها جعلت هدفها بث روح الجماعة، ومن هذه الأحاديث:

- (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه). (مسلم، ج٤، ١٩٨٧، ٣٨٧).
- (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). (البخاري، ج٣، ١٩٩٢، ٣٢٤).
- سأله رجل: أيُّ الإسلام خير؟قال: (تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف). (البخاري، ج٣، ١٩٩٢، ٣٢٥).
- (يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام). (ابن ماجة، ج٤، ١٩٩٧، ١٨٧).
- (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). (البخاري، ج٢، ١٩٩٢، ٢٣٤).
- (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً). (البخاري، ج٤، ١٩٩٢، ٣٩١).
- (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة). (البخاري، ج٢، ١٩٩٢، ٢٣٤).

كشف خطط المنافقين:

المنافقون هم من أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، ظناً منهم أنَّ هذا السلوك سيمكنهم من العمل السري الذي يُفضي إلى موالاة أعداء المسلمين، ومن ثَمَّ التعاون معهم للقضاء على الإسلام، وكان زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول أوشك أن يكون ملكاً على أهل المدينة لولا هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة، مما جعل الناس ينفضون من حوله، ومن يومها أبطن العداوة للمسلمين، وشرع في فعل الدسائس والمؤامرات بالتعاون مع الكفار والمشركين، ولمَّا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم الإفلات من قريش والوصول إلى المدينة المنورة، أرسل مشركوا مكة إلى عبد الله بن أبي سلول يدعونه إلى قتال المسلمين، وعندئذ تَنبَّه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطرهم وكاشفهم بما يودون فعله، وتذكر مصادر السيرة النبوية أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى المدينة، أرسل أهل مكة من المشركين كتاباً إلى عبد الله بن أبي سلول يحثونه على قتال المسلمين بالمدينة وإخراجهم منها، فاجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغه ذلك لقيهم، وقال لهم: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم، فلما سمعوا ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم تفرقوا(ابن هشام، ج٢، ١٩٩٢، ٢٨٢). ويتضح من هذه الحادثة مبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمة تصرفه لتأمين وتوحيد الجبهة الداخلية للمدينة، فهو لم يريد أن يدخل معهم في مواجهة عسكرية منذ البداية، ولكنه لجأ إلى أسلوب التنبيه الذي ينم عن متابعته للأحداث أولاً بأول، واستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم من الكلمات ما يُنفِّر هؤلاء المنافقين من الاستجابة لتعليمات مشركي مكة فقال: " أبناءكم وإخوانكم" ولم يقل أعداءكم.

من جهة أخرى نجد أنَّ الرسول صلى اله عليه وسلم رغبة منه في دفع شر هؤلاء المنافقين بالتي أحسن، سعى إلى استقطاب أبناءهم إلى صف المسلمين، فاستجاب ابن عبد الله بن أبي سلول، وعبد بن الحد بن قيس، الذي قال له أبوه: اسكت يا لكع، والله لا أنفعك بنافع أبداً، والله لأنت أشدَّ علي من محمد (الواقدي، ج٢، ١٩٩٨، ٢٣٤)، كما هدم مسجدهم الذي بنوه في المدينة حتى لا يتخذوه قاعد لمخططاتهم الخبيثة لإضعاف شوكة المسلمين.

إجلاء اليهود من المدينة المنورة:

سبق أن ذكرنا أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، أبرم معاهدة مع يهود المدينة كفلت لهم حقوق المواطنة وحرية الدين في ظل دولة المدينة، إلا أنَّ اليهود لم يلبثوا أن سعوا إلى الغدر والخيانة والتراجع عن تلك المعاهدة، فبدأوا بالتآمر على المسلمين

وإثارة الاضطرابات بالتعاون مع المشركين وخاصة من أهل مكة، وازداد هذا الحقد والغيظ بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر، فبادرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصح والعودة إلى الدخول في الإسلام، وذكَّرهم بهزيمة مشركي قريش، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريش، قالوا: يا محمد لا يَغرنَّك من نفسك أنَّك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنَّك لو قاتلتنا لعرفت أنَّا نحن الناس، وأنَّك لم تلقَ مثلنا(أبو داوود، ج٣، ١٩٩٤، ٢٨٢).

وفي قولهم هذا استعدادهم للقتال متى ما سنحت لهم الفرصة، لكنه صلى الله عليه وسلم، لم يجبهم لذلك بل صبر عليهم لعلهم يُسلمون، إلا أنَّ صبره عليهم جعلهم يزدادون جرأة على المسلمين، ومن ذلك أنَّهم تجرأُوا على امرأة مسلمة وأرادوا كشف وجهها في سوقهم، فأبت. فما كان من واحد منهم إلاَّ تَعدَّى عليها حتى انكشفت عورتها، وحينئذ أعلن عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب، وحاصرهم في ديارهم إلى أن استسلمَوا فأخرجهم من المدينة ونفاهم إلى الشام.

أمَّا يهود بني قريظة فقد نقضوا ما بينهم والمسلمون من ميثاق وعهد، بتحريضهم قبيلتي قريش وغطفان وقبائل العرب الأخرى لقتال المسلمين والهجوم عليهم في المدينة المنورة فيما عُرِف بغزوة الأحزاب، حيث أنَّ بني قريظة وعدوهم بنصرهم ومباغتة المسلمين إن هم خرجوا لقتال المسلمين، وعندما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم، من غزوة الأحزاب أمر أصحابه بالتوجه فوراً لقتال بني قريظة، وقال لهم مؤكداً هذا القول: لا يُصلينَّ أحدكم العصر إلا في بني قريظة(الطبراني، ج٢، ١٩٩٤، ٣٦٣). وحاصرهم إلى أن استسلموا.

التأمين الخارجي للمدينة المنورة:

بعد أن استقرت الأحوال واستتب الأمن داخل المدينة، من خلال الإجراءات الأمنية العديدة الناجحة التى طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإجلاء اليهود، وحتى يعيش المسلمون فى أمان وطمأنينة، اتجه صلى الله عليه وسلم إلى تأمين المدينة المنورة من المخاطر الخارجية، لمعرفته أنَّ المشركين والكفار لن يتركوا المسلمين وشأنهم، وعندما نزلت آية الإذن بالقتال: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) سورة الحج، الآية ٣٩، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال الدوريات العسكرية الاستطلاعية إلى القبائل التي تسكن حول المدينة المنورة، والتي هدفت إلى تحقيق أهداف عديدة أهمها:

١/ التعرف إلى الطرق المحيطة بالمدينة والمسالك المؤدية إلى مكة.

٢/ عقد معاهدات صلح مع القبائل التي تسكن جوار هذه الطرق.

٣/ إشعار المشركين في المدينة المنورة ومكة وأعراب البادية أنَّ المسلمين أصبحوا أقوياء كما أنَّهم تخلَّصوا من ضعفهم.

٤/ حصار قريش اقتصاديا من خلال تهديد طرق تجارتها لبلاد الشام.

ممارسة الشورى:

وهي واحدة من أهم أساليب وقاية المجتمع من كثير من الشرور، إذ بها يتم اتخاذ القرارات الصحيحة بما يقود إلى إحساس كافة أعضاء المجتمع المسلم بأنهم شركاء في تحمل المسؤولية، وظهرت الشورى في أرفع صورها في عديد من المواقف، ففي غزوة بدر الكبرى أقرَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، رأي الحباب بن المنذر في اختيار الموقع المناسب لنزول جيش المسلمين، وتذكر مصادر السيرة النبوية أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم تحرك بجيش المسلمين ليسبق إلى ماء بدر ليحول بينه وبين جيش قريش، فنزل عند أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر كخبير عسكري وقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسول الله إنَّ هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم- جيش قريش – فننزله ونُغوِّر(نُخرِّب) ما وراءه من القُلَّب (الآبار) ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم من دونه، فنشرب ولا يشربون، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي(الحاكم، ج١، ٢٠٠٢، ٢٣٩).

وبدت ممارسة هذه الشورى كذلك عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم، يريد اعتراض ومصادرة قافلة قريش التجارية القادمة من الشام، فخرج في جماعة من المسلمين، لكن استطاع أبو سفيان بن حرب الإفلات من جيش المسلمين، وفي نفس الوقت كانت قريش قد جاءت بجيش لإنقاذ هذه القافلة، وهنا استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في مواجهة جيش قريش خاصة وأنه لم يخرج يريد قتالاً، كما أنَّ بعض المسلمين كره هذه المواجهة لعدم استعدادهم لها، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ من بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) سورة الأنفال الآيتان٥،. فأشار إليه فريق من المهاجرين بالقتال وعدم الانسحاب إلى المدينة، فأحبَّ الرسول صلى الله عليه أن يسمع رأي الأنصار لأنَّهم كانوا يمثلون أغلب مقاتلي الجيش كما أنَّ العبء الأكبر للمعركة يقع عليهم من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ نصوص بيعة العقبة لا تُلزم الأنصار بالاشتراك في القتال خارج المدينة المنورة، فقال للناس بعد أن سمع رأي المهاجرين: أيها الناس أشيروا عليَّ، فتولَّ الرد قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ، فقال: والله لكأنَّك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل، قال: فقد آمنَّا بك

فصدقناك وشهدنا أنَّ ما جئت به الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنَّا لصُبرٌ في الحرب صُدق في اللقاء، ولعل الله يريك ما تَقرَّ به عينك، فسِر بنا على بركة الله. (البيهقي، ج٢، ١٩٩٦، ٢٣٩).

ومن المواقف المهمة كذلك التي استشار فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم، ملاقاة كفار قريش في غزوة أحد، فقد كان من رأيه ورأي كبار الصحابة ملاقاة العدو داخل المدينة المنورة لاعتبارات كثيرة، منها كثرة عدد وعتاد جيش قريش، وأنَّ المسلمين يعرفون طرق ومداخل المدينة مما يتيح لهم الانتصار في هذه المعركة، ولكنَّه صلى الله عليه وسلم استشار عامة أصحابه، فقال الشباب منهم ومن فاتته المشاركة في غزوة بدر الكبرى: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه إلينا وقرب المسير، اخرج إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٤٥).

وعندما تحرك جيش الأحزاب لغزو المدينة المنورة عقد الرسول صلى الله عليه وسلم مجلساً استشارياً تناول فيه خطة الدفاع عن المدينة، فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يا رسول الله إنَّا كنَّا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا. (البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٢٨٩). فأخذ صلى الله عليه وسلم بهذا الرأي.

الدوريات الاستكشافية:

استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب الوقائي في الحروب حرصاً منه على وضع الخطط المناسبة لمواجهة أعداء الإسلام، حيث كان يرسل العيون لاستكشاف قوة العدو، بل إنَّه كان يستخدم هذا الأسلوب بنفسه في مرات عديدة، ومن ذلك قيامه ورفيقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، باستجلاء خبر جيش قريش في غزوة بدر الكبرى، فبينما هما يتجولان حول معسكر أهل مكة، إذا هما بشيخ من العرب، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد وأصحابه، لكن الشيخ قال: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: أو ذاك بذاك؟قال: نعم. قال الشيخ: فإنَّه قد بلغني أنَّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المدينة، وبلغني أنَّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش مكة، ولمَّا فرغ من خبره، قال: من أنتما؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء، ثم انصرفا عنه، وبقي الشيخ يتفوَّه: من ماء! أمن ماء العراق. ومن هذا الموقف يمكن أن نلحظ الآتي:

١/ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، استخدم التمويه حين قال للشيخ: محمد وأصحابه، ولم يقل له جيش المسلمين.

٢/ المبادرة بأخذ المعلومات المطلوبة، فلو أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا الشيخ عن صفته واسمه لما حصل على ما يريد.

٣/ استخدامه صلى الله عليه وسلم للتورية حين طلب منه الشيخ أن يخبره عن هويتهما، فقال له: نحن من ماء، يريد ماء النطفة.

سرعة التدخل في فض النزاعات:

وهي من الأمور المهمة في وقاية المجتمع من الشرور والتفكك قبل أن تتطور وتصل إلى الحد الذي يقود إلى إلحاق الضرر بالدولة والمجتمع، ومن ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم من الاعتزاز بالقبيلة وإثارة النعرات العرقية التي كانت سائدة في الجاهلية، إذ تذكر مصادر السيرة النبوية أن اليهودي شاس بن قيس مرَّ بالمدينة على مجلس فيه الأوس والخزرج وهم يتحدثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد أن كانت بينهم العداوة في الجاهلية، فأمر فتى شاباً من اليهود كان معه فقال له: أعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل. فتكلَّم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا. ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، يعني الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التي كانت بينهما في الجاهلية، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم في جماعة من المهاجرين، فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر، وألَّف بين قلوبكم(الطبراني، ج٢، ١٩٩٤، ٣٧٤).

من هذا الموقف يتضح أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، كان حريصاً على وحدة الجبهة الداخلية مما دعاه إلى الإسراع بالتدخل بنفسه لحل هذا الخلاف، وتتجلى حنكته القيادية في الآتي:

١/ أنَّه صلى الله عليه وسلم صحب معه جماعة من المهاجرين، فلو صحب معه جماعة من الأنصار لربما انحازوا إلى أحد الفريقين.

٢/ خاطبهم بقوله: يا معشر المسلمين، ولم يقل لهم: الأوس والخزرج، وفي هذا دلالة قوية على ضرورة تناسي خلافات الماضي.

٣/ تذكيره بفضل الإسلام عليهم، وتأليفه بينهم بعد أن كانوا أعداءً.

٤/ تنبيههم على أن يردوا ما تنازعوا فيه إليه، حسب ما نصت عليه المعاهدة التي نظمت العلاقات بين المسلمين في مجتمع المدينة المنورة.

المشاركة في الأعمال:

كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم، مشاركة أصحابه رضي الله عنهم في أعمالهم، وخاصة ما يتصل منها بالتجهيزات الخاصة بالمعارك الحربية، فكان معهم في كل صغيرة وكبيرة بداية من التخطيط وانتهاءً بالتنفيذ، ممَّا كان له الأثر الإيجابي في رفع معنوياتهم والوصول إلى الأهداف المشتركة، ومن ذلك مشاركته صلى الله عليه وسلم لأصحابه في حفر الخندق في غزوة الخندق الذي أشار بحفره سلمان الفارسي رضي الله عنه، لتحصين المدينة المنورة من مشركي مكة وحلفائهم حينما أرادوا غزو المدينة المنورة في جيش عظيم، عن أنس رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى الخندق فإذا بالمهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إنَّ العيش عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٤٢).

نحن الذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله عليه وسلم، ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول: (ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٤٢)

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إنَّ الأُلى رغبوا علينا

وإن أرادوا فتنة أبينا

الحرب النفسية:

وهي واحدة من التطبيقات الأمنية المهمة التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهذه الوسيلة يتم تخذيل العدو وتحطيم قوته وروحه المعنوية وبث الشكوك في جنوده، والحرب النفسية استخدمتها الجيوش من قديم الزمان ولا يوجد صراع إنساني إلا وكانت الحرب النفسية إحدى الوسائل المهمة في تحقيق النصر دون خسائر تُذكر، وتكون الحرب النفسية باستخدام أساليب ظاهرها إيهام العدو بأن خصمه يعمل بعكس ما يتوقع. (النجار، ٢٠٠٥، ٣٧).

والحرب النفسية هي الكلمات والأقوال والأفعال التي تُوهِن من تصميم العدو على القتال، بإضعاف روحه المعنوية(النجار، ٢٠٠٥، ٤١)، وهي كذلك الهجوم بمختلف الأسلحة المعنوية قبل بدء المعركة الحقيقية القتالية، من خلال تيئيس العدو وتثبيط همته وخفض روحه المعنوية.

استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوبين فاعلين من أساليب الحرب النفسية هما:

١/ الشِّعر:

معلوم أنَّ الشِّعر من المجالات التي برع فيها العرب منذ الجاهلية، وكانت تُرسل منه ما تود أن تصل إليه من أهداف، واستفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الميزة للشعر في مواجهته للكفار، وقد سمح الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه بهجاء الكفار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ عمراً رضي الله عنه مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه أي نظر إليه نظرة عدم رضا، فقال له حسان: كنت أنشد الشعر وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أجب عني، اللهم أيِّده بروح القدس؟قال: اللهم نعم. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان: أجب عني، اللهم أيِّده بروح القدس(البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٣٠١)، وعنه رضي الله عنه قال لحسان رضي الله عنه: أهجهم أو هاجهم وجبريل معك(البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٣١٢). وامتثل حسان لتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم (لأمزقنَّ) بلساني فري الأديم، فقال رسول الله صلى عليه وسلم: لا تعجل، فإنَّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسباً حتى يلخص لك بنسبي، فأتاه حسان فقال لرسول الله عليه وسلم: لخِّص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأستلك منهم كما تُسل الشعرة من العجين، قالت عائشة رضي الله عنها: فسمعت رسول الله صلى الله عنه يقول لحسان بن ثابت: إنَّ روح القدس ما يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله(البيهقي، ج٢، ١٩٩٦، ٢٣٨).

٢/ التفريق بين العدو وحلفائه:

لما خرج مشركوا مكة وحلفاؤهم من العرب لمهاجمة المدينة للقضاء على الدعوة الإسلامية بتحريض من يهود المدينة المنورة، استعدَّ لهم الجيش الإسلامي بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحفروا خندقاً حول المدينة لتأمينها، وفي أثناء ذلك الحصار جاء رجل من قبيلة غطفان يقال له نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن إسلامه دون علم قومه، وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمره بما يشاء في هذا الظرف الحرج الذي يمر به المسلمون لعله يقدم مساعدة تخرجهم مما هم فيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّما أنت رجل واحد فخذِّل عنَّا ما استطعت، فإنَّ الحرب خدعة. فاستطاع نعيم رضي الله عنه عن طريق هذه الخدعة الإيقاع بين جيش الأحزاب وأعوانهم من اليهود، إلى أن انصرفوا عن المدينة المنورة، وقد أوردت مصادر السيرة النبوية ما ملخصه أنَّ نعيماً رضي الله عنه ذهب فور تكليفه إلى يهود بني قريظة – الذين كانوا أصحابه – فدخل عليهم وقال: قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت. قال: فإنَّ قريشاً ليسوا مثلكم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناءكم ونساءكم لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره وإنَّ قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمداً وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فإن أصابوا فرصة انتهزوها وإلاَّ لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمداً فانتقم منكم، قالوا: ما العمل يا نعيم؟قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا: لقد أشرت بالرأي. ثم مضى نعيم على وجهه إلى قريش وقال لهم: تعلمون ودي لكم ونصحي لكم، قالوا: نعم. قال: إنَّ يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنَّهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه ثم يوالونه عليكم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم. ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك (الواقدي، ج٢، ١٩٩٨، ٢٩٧).

ولمَّا تعب جيش الأحزاب من حصار المدينة المنورة دون جدوى، أرسلوا إلى اليهود بقولهم: إنَّا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكراع والخف(الخيل والإبل)فانهضوا بنا ننناجز محمداً، فأرسل إليهم اليهود بقولهم: إنَّ اليوم يوم سبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، فإنَّا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن، فلمَّا وصلتهم هذه الرسالة، قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم. فبعثوا إلى يهود: إنَّا والله لا نرسل أحداً فاخرجوا معنا ننناجز محمداً، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم. فتخاذل الفريقان ودبت الفرقة بين صفوفهم وخارت عزائمهم(مسلم، ج٤، ١٩٨٧، ٢٣٩).

من هذه الحادثة يمكن ملاحظة الآتي:

١/ أنَّ سعيد بن نعيم رضي الله عنه كتم إسلامه عن حلفائه، فإن علموا أنَّه أسلم لن يصدقوا حديثه.

٢/ أنَّه قال لهم(محمداً وأصحابه)، ولم يقل رسول الله-علماً أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون رسول الله – فلو قال ذلك لتعرضت حياته للخطر ولما استطاع إنجاز مهمته على الوجه المطلوب.

٣/ استثمار سعيد بن نعيم رضي الله عنه لعامل الزمن، فإنَّه بدأ تنفيذ خطته فوراً.

الجنوح للصلح:

وهو من الأمور التي حرص عليها الرسول صلى عليه وسلم، في كل شؤون الدعوة، ولم يجد سبيلاً لذلك إلاَّ وطرقه، رفقاً بأصحابه وحرصاً على دخول الناس في الإسلام دون قتال، ومن ذلك أنه رأى في المنام وهو في المدينة المنورة أنه دخل مكة معتمراً فأخبر أصحابه بذلك، وأمرهم بالتجهيز للسفر، فخرجوا إليها في السنة السادسة للهجرة وساقوا معهم الهدي فلما سمع بذلك مشركوا مكة حاولوا منعهم من دخول مكة، وأرسلوا خالداً بن الوليد في مائتي من الفرسان ليعترضوهم، ولما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال استخباراته بدَّل طريقه ونزل بأقصى الحديبية، ثم جرت مفاوضات مطوَّلة بينه وبين قريش انتهت باتفاق بين الطرفين على صلح من أهم بنوده:

١/ أن لا يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم، مكة هذا العام، وإنَّما يدخلها العام المقبل ولمدة ثلاثة أيام بشرط أن لا يعترضه أحد.

٢/ عدم الاعتداء بين الطرفين لمدة عشر سنوات يكون فيها الأمان للناس.

٣/ من أحبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، على أن تعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي من الفريقين جزءً من ذلك الفريق، وأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل، يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.

٤/ من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه – أي هارباً منهم – رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد- هارباً منه- لم يرد إليه.

ولما تمَّ اعتماد من قبل الطرفين على هذه الوثيقة وتمَّ الصلح، دخلت قبيلة خزاعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنَّهم كانوا حلفاء بني هاشم منذ عهد عبد المطلب، ودخلت قبيلة بنو بكر في عهد قريش.

يمكن الخروج بالملحوظات المهمة التالية من هذا الصلح:

١/ اعتراف مشركي قريش بقوة المسلمين، وبأنَّهم أصبحوا دولة ذات هدف واضح، وهذا ما دعا كثيراً من القبائل للدخول في الإسلام سلماً، أو عدم الوقوف في طريق الدعوة.

٢/ دخول قبائل كثيرة في حلف المسلمين وأولها كانت قبيلة خزاعة.

٣/ تفرغ المسلمون لنشر الإسلام بين القبائل العربية، إذ إنَّ أغلب مجهودات المسلمين قبل هذه المعاهدة كانت تركز على الجانب العسكري واتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية الدعوة.

٤/ إسلام عدد مقدر من كبار زعماء قريش، مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة.

٥/ عودة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، وهو ما أضاف قوة نوعية جديدة للمسلمين.

٦/ تفرغ المسلمين لمواجهة اليهود، إذ إنَّ التفكير في قتالهم قبل هذا الصلح ربما قاد إلى تشتت قوة المسلمين، خاصة أنَّ اليهود كانوا يسكنون داخل المدينة.

٧/ تفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم، للدعوة للإسلام خارج الجزيرة العربية من خلال الكتابة لزعماء العالم من الدول الأخرى، مثل كسرى في بلاد فارس، وقيصر في بلاد الروم.

إظهار القوة:

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم، أصحابه الذين شهدوا صلح الحديبية للخروج للعمرة في العام التالي وساق معه الهدي، ولما دخلوا مكة أمرهم بالرمل(أي المشي بسرعة وقوة)في الأشواط الثلاثة الأولى عند الطواف بالبيت الحرام كما أمرهم بالاضطباع (كشف المناكب اليمنى) إظهاراً للقوة، لأنَّ أهل مكة زعموا أنَّ المرض قد أنهك المسلمين، فلما رآهم المشركون قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أنَّ الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا(الواقدي، ج٢، ١٩٩٨، ٣٧١).

استخدام التمويه عند فتح مكة:

لما نقضت قريش الصلح الذي أبرمته مع رسول الله صلى عليه وسلم بالحديبية بعد عامين من خلال معاونة قريش لحليفتها قبيلة بني بكر في الهجوم على حلفاء المسلمين من خزاعة، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتحرك لغزو مكة في السنة الثامنة للهجرة، إلاَّ أنَّه لم يعلن ذلك صراحة لهم في بادئ الأمر، فقد استخدم التمويه حتى لا تعلم قريشاً فتستعد لحربه مما قد يؤدي إلى هلاك عدد كبير من الناس،

وخاصة وأنه ما زالت هناك مصالح لبعض الصحابة من المهاجرين بمكة ونشوب القتال قد يؤدي إلى ضياعها، ولم يعلم بنيته تلك حتى أقرب الناس إليه، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ففي رواية الطبري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عائشة – قبل أن يأتي إليه خبر نقض الميثاق بثلاثة أيام – أن تجهزه، ولا يعلم أحد، فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية ما هذا الجهاز؟ قالت: والله ما أدري. فقال: ما هذا زمان غزو بني الصفر(الروم)، فأين يريد رسول الله؟ قالت: والله لا علم لي. (البخاري، ج٣، ١٩٩٢، ٣٢٤). وزيادة في التمويه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية مكونة من ثمانية رجال إلى الاتجاه المعاكس لطريق مكة حتى يظن الناس أنه ذاهب لغزو مكان آخر، ثم سار الجيش الإسلامي إلى مكة بعدد عشرة آلاف مقاتل، وفي الطريق لقيهم عم رسول الله العباس بن عبد المطلب في جماعة من أهله مهاجراً إلى المدينة حيث أنَّه كان يكتم عن قريش إسلامه ولما وصل إلى مكان يقال له الأبواء لقيهم أبو سفيان بن الحارث بن حرب فأسلم، وأمر عمه العباس بحبس أبي سفيان حتى يمر به جيش المسلمين فيراه، فمرت به كل القبائل، ولما مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى، قال له العباس: النجاء إلى قومك، فأسرع أبو سفيان حتى دخل مكة وصاح بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه من كل الجهات ولم يحصل قتال.

تبين من هذه الدراسة أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع من خلال استخدامه لإجراءات محكمة، في فترة حياته بالمدينة المنورة، في توفير الأمن بمعناه الشامل للمسلمين، على الرغم من تفوق المنافقين والمشركين والكفار، من ناحية العدة والعتاد، والعلاقات المتميزة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي كانت تجمعهم مع أمثالهم في ذلك العصر، ويتضح كذلك أنَّه صلى الله عليه وسلم قد أخذ بالأسباب على الرغم من أنه كان مُؤَيَّداً ومنصوراً من الله عز وجل في كل الأحوال والأزمان، وهو بهذا المسلك يكون قد وضح لنا الطريق المفضي إلى تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في مجتمعاتنا إذا اقتدينا به في تلك الإجراءات التي اتبعها بما يناسب أحوال العصر الذي نعيش فيه.

النتائج:

١/ يتحقق الأمن بمفهومه الشامل وفق وضع خطة متكاملة الجوانب تراعي الإمكانيات البشرية والمادية الموجودة في المجتمع.

٢/ تفعيل دور المسجد وتمكينه من أداء مهامه في الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والدعوية من قبل الجهات المختصة.

٣/توحيد المجتمع بكل فئاته يُمكِّن من تحصين الدولة من كافة المهددات الداخلية والخارجية.

٤/تعاون وتكافل أفراد الأمة يؤدي إلى تماسك المجتمع وتحقيق أهدافه الحيوية وأولها الأمن الشامل.

٥/ للشورى دور مهم في إنجاز الأعمال، إذ يشعر من خلالها الناس بأنهم شركاء في المسؤولية.

٦/السرعة في فض المنازعات والخصومات وعلاج أسبابها داعم مهم في تحقيق الأمن الشامل.

٧/ الجنوح للصلح والعفو عند المقدرة مما يقوي ثقة الناس في قيادتهم.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

١/ أن تقوم أجهزة الإعلام بدورها في تبصير أفراد المجتمع بأهمية الأمن الشامل.

٢/ أن تعمل الجهات المختصة على تنفيذ البرامج والمشروعات التي تقود إلى تكافل وتعاون أفراد المجتمع المسلم.

٣/ بث وإشاعة القيم الفاضلة ذات الصلة بالتعايش السلمي واحترام الآخرين في معتقداتهم وأعرافهم.

٤/ إنشاء مركز أو معهد لدراسات السيرة النبوية في المنظمات الإسلامية المعتمدة.

٥/ تضمين المناهج في المراحل التعليمية كافة مقررات دراسية من السيرة النبوية في الدول الإسلامية.

٦/ عقد دروس تعليمية بالمساجد من قبل متخصصين في السيرة النبوية.

٧/ إبراز الجانب العملي التطبيقي في السيرة من خلال المحاضرات والندوات.

٨/ التركيز على فقه السيرة بما يقود إلى الاستفادة من دراستها.

٩/ إجراء دراسات وبحوث في جانب الأمن بمفهومه الشامل في السيرة.

المصادر والمراجع

١/ ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٩٧م. ٢

٢/ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣/ ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، دار الخير، بيروت، ١٩٩٢م.

٤/أبو داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٤م.

٥/ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

٦/ البيهقي، أبو بكر، سنن البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٧/ الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٨/ الحاكم، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٩/ الطبراني، سليمان بن أحمد، الجامع الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٠/ المنشاوي، محمد، رأي الجمهور في الشرطة المجتمعية، ورقة عمل مقدمة لندوة مفهوم الشرطة المجتمعية، بالتعاون مع جامعة نايف، دبي، ١٥/-١٧/٨/١٤٢٦ه.

١١/ الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م.

١٢/ الشجاع، عبد الرحمن، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر، صنعاء، ١٩٩٩م.

١٣/ الموسوي، محسن، دولة الرسول، دار البيان، بيروت، ١٩٩٩م.

١٤/ النجار، فهمي، الحرب النفسية في الإسلام، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠٥م.

١٥/ مسلم، الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.